فاطمة اسنيدي
خُيُوطُ قَدر
قصة
دار السمة للنشر الإلكتروني

خیوط قدر

اسم الكتاب: خيوط قدر

اسم الكاتبة: فاطمة اسنيدي

نوع العمل: قصة

الرقم الدولي EBIN: 16-1-453-260728

الناشر: دار بسمة للنشر الإلكتروني

الطبعة الأولى: 2026م / 1448هـ

دار بسمة للنشر الإلكتروني

00212771814934

@ bassmabook

bassmabook@gmail.com

المملكة المغربية

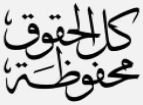

دار بسمة للنشر الإلكتروني تُقدم جميع خدمات النشر، ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى، إذ إن الكاتب وحده هو المسؤول عن نتاج فكره.. ولا يجوز بأي صورة نشر أو إعادة طبع أي جزء من هَذَا الكتاب، أو نقله عَلَى أي نحو كَانَ، أو بأي طريقة سواء كَانَت إلكترونية أو بالتصوير أو خلاف ذلك، إلاّ بموافقة خطية من الناشر أو المؤلف. ©

خيوط قدر

قصة

فاطمة اسنيدي

الإهـداء

إلى كل من يحاول أن يعيش...

إلى كل من زرع الحب رغم الجفاء الذي يعتريه...

إلى كل من غرد بالأمل والتفاؤل في مدينة التشاؤم...

إلى من يظن أن المعاناة اصطفته دونَا عن غيره...

وإلى من يعيش في ترف الحياة ناسيا أنها مجرد اختبار وقد تُسحب ورقته في أية لحظة...

في أحد الأقاليم القروية التابعة للمدينة التاريخية العتيقة، دار الضمانة أو وزان، وهي مدينة جبلية صغيرة، توجد بين جبلين، جبل أبي هلال، وجبل أبو عقيقة، تقع في الشمال الغربي للمملكة المغربية في مقدمة جبال الريف، جنوب وادي لوكوس، حيث تُعرف هذه المدينة بالمدينة الخضراء، نظرا لإحاطتها بغابات الزيتون من كل جهة، فهي بارزة على بساط أخضر صنعته طبيعتها الخلابة المحيطة بغابات إيرازن، وعلى أطرافها توجد بُحيرة بُو دروة أو البْحيَّار كما يحلو لسكانها أن ينادوها.

وبالضبط، في منزل طيني بسيط، جبلي الطراز، مربع الشكل، ذو هندسة تُعرف بـ(الصندُوق) نظرا لعدم وجود فضاء فارغ في مركزه، كما هو متعارف عليه في المنازل الجبلية.

نادت فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، سمراء البشرة، قصيرة القامة، رمادية العينين، تلبس خمارا أزرق مع فستان أسود يغطي جسمها الممتلئ في الأماكن الصحيحة، قائلةً بحماس: عمي، سأُحضر الحمار من الحظيرة، كي أذهب إلى السقي من عين (...)، ولن أتأخر.

أجابها رجل في الأربعينيات من عمره، حنطي البشرة، طويل القامة، حليق اللحية، بنِيَّ العينين بعد أن خرج من البهو الذي كان فيه، بطيبة: بارك الله فيك يا ابنتي راضية.

ردت راضية بلطف: وفيك بارك الله يا عمي محسن.

بعدئذ توجهت بنشاط إلى الحظيرة، أخذت "السِّرِيمَة" المعلقة هناك، وضعَتها في فم الحمار الأشهب اللون، ساحبة شريطها إلى ما بعد أذنيه الطويلتين فوق رأسه تماماً لتضمن عدم تفلُّتها. فكت قيد رجله الأمامية، ثم سحبته إلى الخارج حيث توجد كسوته.

وضعت على ظهره إحدى المعاطف القديمة لعمها محسن لتُخفف عنه حدة (الشْقَالِيَّة) المحشوة في (البَرْدَعَة) التي ألحقتها فوق ظهره على المعطف تماماً، ثبَّتتها جيداً ثم وضعت قطعة بلاستيكية مستطيلة الشَكل، لتمنع تسرب الماء الذي يؤدي إلى تلف "البردعة".

ربطت الحمار في جذع الشجرة، وعادت إلى الحظيرة لتَخرج (الطْنَابار) وهما أشبه بمزهريتين تماما، غير أنهما مصنوعان من الجلد الذي يستخدم في عجلات الجرار، بطريقة مبتكرة من طرف صانعيهما، قرنتهما بواسطة حبل غليظ ومتين، ثم رمتهما فوق ظهر

الحمار، لتمتطيه بعدها برشاقة منطلقة بسعادة إلى حيث العين لتجلب الماء، فهي ستكون خالية هذا الصباح، وسيتسنى لها قضاء حاجتها والعودة دون انتظار دورها، لاسيما أنه فصل الصيف، ففي هذا الفصل من السنة أغلب سكان الإقليم يذهبون لأراضيهم الفلاحية رغبة في الحصاد، لكنها لا تهتم، كل اهتمامها مصوب الآن نحو ذاك الواقف هناك وحيداً إلا من بغله الناصع كبياض الثلج. له عينان فيروزيتان ساحرتان، وشارب رجولي خفيف. يلبس بدلة رياضية رمادية اللون تليق ببنيته الجسمانية القوية، وتتماشى مع بشرته الحنطية. ذو هالة الأمان التي تشعر بها معه في كل مرة يلتقيان فيها.

ألقت راضية التحية متحاشية النظر صوبه بخفوت: السلام عليكم، كيف حالك يا مصطفى؟

التفت مصطفى نحو الصوت الأنثوي المحبب إلى قلبه، وقال بعينين متلألئتين حباً: وعليكم السلام ورحمة الله، حالي من حالك يا سارقة الفؤاد، شاغلة التفكير، وسالبة العقل.

توردت وجنتاها بخجل فطري غير مفتعل، حاولت قول شيء لكن لسانها لم يسعفها، الشيء الذي جعل مصطفى يهمس قائلاً: حتى سكوتك هذا أعشقه يا رمادية العينين.

تلفتت راضية يمينا ويسارا لتتحقق أهناك أحد بالجوار يسترق السمع فيكشف أمرهما، ثم تمتمت بطلب: أرجوك املأ "الطنابر" الخاصة بك سريعا لتترك لي المجال لأملأ الخاصة بي أنا الأخرى، يجب علي ألا أتأخر كي لا يشكّوا في أمري.

سأل مصطفى بلَوعة: إلى متى سنستمر في لقاءاتنا السرية هذه يا راضية؟ أنا أريدك زوجةً لي، حلالًا طيبًا، ألا تريدين هذا أنتِ أيضا؟

تنهدت راضية متذكرة حالها مع حب حياتها، بعدها أردفت بيأس: أحلم باليوم الذي ستجمعني فيه وسادة واحدة معك، لكن أمك لم ترضَ بي عروسا لابنها الوحيد، لاسيما أنك ابن السي علي شيَخ الدوار أما أنا فلا أهل لي، توفوا تباعا عندما كنت في ربيعي السادس، فتكفل بي عمي محسن، قس على ذلك أنه ليس في الرفاهية التي ترقى لنسبكم، وأنا أعذرها فلو كنتَ مكانها لاخترت لابني أجمل النساء، وأغناهن.

انفعل مصطفى بعصبية: بمَ تهذين أنت؟ أنا لن أرضى بامرأة سواك زوجة لي، وليذهب الجميع إلى الجحيم.

أدركت راضية عَقم حوارها معه، فهو حاد الطباع، مدلل لدى أهله، ولا يعترف بكلمة لا. وتعرف جيدًا أنه لن يتوانى لحظة عن التمسك بها رغم رفض أمه القاطع، لكن ليس باليد حيلة، لذا بادرت بعجز: ماذا عسانا أن نفعل؟

نظر إليها نظرة ذات مغزى، استنبطت منها أن اقتراحه لن يكون عاديا، وصدق حدسها حين تمتم بثقة: سأضغط عليها قليلًا، وإن لم ترضخ فسنتزوج دون علمها، وليكن ما يكن.

شهقت فور سماعها لاقتراحه، وصاحت باعتراض: لا، لن أشاركك في هذا أبدًا.

توقع مصطفى ردة فعلها مما جعله يمسك كفها، ويضغط عليها برفق قائلًا بتوسل: راضية، ثقي بي، أرجوك، فقط ثقي بي، لا أطلب أكثر من هذا.

سرى دفء غريب بسائر جسمها إثر تلك اللمسة التي أقدم عليها دون شعور منه لأول مرة منذ اعترفا لبعضهما البعض بمكنون المشاعر التي يحملها كل واحد منهما للآخر، فأغمضت عينيها تستمتع بذاك الشعور الدافئ الذي لا تعرف أيقدَّر لها أن تحياه مرة

أخرى أم ستكون هذه مرتها الأولى والأخيرة. كلامه لم يقنع عقلها البتة، لكنها لسبب ما اختارت أن تتبع قلبها تاركة له زمام الأمور.

فتحت عينيها ببطء فتلقفتهما نظرات عينيه الفيروزية الآسرة، ليسري حديث بين الأعين، عجزت الشفاه عن قوله، ولا حتى ترجمته، لتجد هي بعضاً من الشجاعة وتقطع سحر اللحظة بعزم: أثق بك، لكن عدني ألا أندم.

شدد من إمساكه لكفها، ثم قال بإيماءة: أعدك.

** **

عاد كل من العاشقين إلى بيته، وطول طريق العودة لم يتوقف عقلاهما عن التفكير في مآل ما قررا فعله، أوصلت راضية الحمولة التي أتت بها، أفرغتها في برميل بلاستيكي كبير، أعادت الحمار كيفما كان إلى الحظيرة، ثم دخلت إلى المنزل لتساعد زوجة عمها في أشغال البيت من طهي، ترقيع تداعيات المنزل بما يعرف بـ(التَمليسْ) وتجديد أسواره بصبغة تُستخرج من الأرض تُدعى (بياضَة) وكذا أرضيته بما يتعارف عليه (التْحرطيطْ) فعيد الأضحى علَى الأبواب، ويجب أن يكون المنزل في أبهى َحلته، وكذا لتشغل نفسها قدر المستطاع كي لا يسحبها التفكير إلى ما لا يُحمد عَقباه.

أما عن مصطفى، فقد أوصل حمولته، تاركًا بقية التفاصيل لأمه عتيقة، وخرج رغبة في استنشاق بعض الهواء، فبمجرد أن يخطر بذهنه أنهم يرفضون وِصاله بسالبة عقله يصاب بالجنون، فماذا لو أصبح الخاطر حقيقة!

جال ذهابا، وإيابا يفكر في حل لهذه المسألة، فجأة ومضت بباله فكرة، ابتسم بسعادة ثم تمتم مُحدثًا نفسه كمن وجد ضالته: سترضخين يا عتيقة، حتما سترضخين.

** **

انتظر مصطفى حلول المساء، وفي تمام الساعة السادسة عاد أدراجه إلى المنزل، دخل بخطوات واثقة إلى منزل أبيه الطينيِ الكبيرِ والعريقِ ذي الطابع الجبليِ الأصيل، مستطيل الشكل، الذي يحتوي على طابقين في سابقة فريدة من نوعها، فأغلب المنازل الطينية الجبلية تكتفي بطابق واحد فقط.

يمتاز المنزل بهندسة غريبة نوعًا ما نظرًا لوجود فضاء عار في مركزه يعرف بـ(القَاور) باستطاعة أشعة الشمس الانبثاق عبره بلا حواجز، وكذا زخات المطر هي الأخرى تهطل بانسياب لتروي عطش النعناع الأخضر، والشيح الرومي المفروش في جوفه، بل حتى شجيرات العنب –بكل أنواعها– تكسو جسد هذا المنزل الشامخ.

نادى على أمه ليتعرف مكانها، فأتاه صوتها من المطبخ، توجه إليها وما إن وصل إلى الباب حتى اتكأ عليه، ثم وضع كلتا يديه في جيبي سرواله الرياضي وبادر بتحدّ: لن ترضي بها زوجةً لي، صحيح؟

التفتت إليه امرأة في عقدها الخامس، متوسطة القامة، حنطية البشرة، ذات أعين فيروزية تشع إصرارا وتحديا كعينيه، ترتدي (منصورية) حمراء، ومنديلًا مزركشًا بمربعات صغيرة زرقاء، تعتلي فوق رأسها قطعة قماش ناصعة البياض، مطرزة بأشكال دائرية، ومثلثية باللون الأزرق بطريقة إبداعية، تُسمى (الدُّرَّة الزْواقِية)،

ملامحها تكتسي الصرامة، وتحت شفتها السفلى (سّيالَة) عبارة عن وشم على شكل خط مستقيم، ونقطتين متعامدتين فيَ كلتا الجهتين.

تركت الأطباق التي كانت تغسل، ونظرت إليه بتمعن من أخمص قدميه إلى قمة رأسه، بعدها تمتمت مدعية عدم الفهم: من هذه التي لن أرضى بها زوجة لك؟

فهم مصطفى محاولة أمه لتجنب الحديث عن الأمر فرد بنبرة ملتاعة: راضية، يا سيدة عتيقة.

اتسعت عينا عتيقة بصدمة، فابنها لا يناديها باسمها إلا عندما يكون غاضبا أو ينوي على فعل مصيبة. بيد أنها دارتْ صدمتها ببراعة اكتسبتها من دروس الحياة، لتقول بهدوء بعد أن أولته ظهرها عائدة لما كانت تفعله: لن أُزوج ابني الوحيد، لفتاة لا أهل لها، هذا آخر من عندي، أشّر بإصبعكَ على غيرها تكن زوجتك الليلة.

لم يزد كلام عتيقة ابنها مصطفى إلا إصرارا وتشبثا برغبته، بل بقراره، فقال هامساً: تريدين الطريق الأصعب إذن، لكِ ذلك.

وصلتها كلماته مبهمة وغير مفهومة، فبادرت باستفهام: ماذا قلت؟

نظر إلى ظهرها بحسرة، وازدادت حتمية تطبيق فكرته التي جاءته قبل قليل كعطية سماوية، فسأل متجاوزا عبارتها: بئر سي حمد جفَّ أم لا يزال مملوءا؟

ردت عتيقة ببساطة غير منتبهة لما يخطط له هذا العاشق وراء ظهرها: ما تزال به بعض المياه، حجمها بطولك تماما.

رد مصطفى شاكرا، ثم انسحب من المطبخ، ثم من المنزل ككل إلى أن وصل إلى شجرة الكلبتوس الطويلة، التي كانت أبرز الشهود على ملحمتها المشاعرية، والتي حفر عليها يوما أول حرف من اسميهما باللغة اللاتينية، مرر عليها يده مودعا، ثم عزم على أن يفعل ما يراه ورقته الرابحة الأخيرة.

** **

حضّرت عتيقة وجبة خفيفة قبل ارتفاع أذان المغرب، ثم رصت الطبق المميز على المائدة، وهو عبارة عن وجبة معروفة في المناطق الجبلية خصوصا، تُسمى بـ(البَقُول)، أتبعته بصينية الشاي الأخضر بالنعناع الذي اقتطفته من (القَاور) الخاص بمنزلها.

– رزقك الله الصحة والعافية.

كان هذا ثناء سي علي الذي دخل لتوه إلى المطبخ، ساحبا إحدى الكراسي، ليجلس.

ابتسمت عتيقة، ثم قالت بخجل: وإياكم.

انتبه سي علي لغياب ابنه مصطفى، فاستنتج أنه عازف عن الطعام معهما كسائر الأيام السابقة في غرفته، ليتنحنح سائلًا: ألن يأتي هذه المرة أيضًا؟

جلست عتيقة بإعياء ثم قالت مُحاولةً إزاحة الثقل من على كاهلها، مُشارِكةً زوجها مخاوفها، وقلقها: نعم، أظن أنه في غرفته الآن، ابنك يثير قلقي، لم يريدها هي بالضبط؟ ما المميز بها؟ لا أهل، لا غنى، لا جمال، لا شيء، لا شيء.

ابتسم سي علي قائلًا بمرح ليحاول التخفيف من قلق زوجته: يصبح ابني فقط عندما يثير المشاكل، أما عندما يكون عاقلًا، فهو ابن عويتيقة.

ضحكت عتيقة بانطلاقة، ثم قالت مدافعة: نعم كذلك، هو شقي جدًا، يذكرني بك.

نظر إليها سي علي نظرة عميقة، ثم قال بحذر: زوجيها له ما دام مصرا، اختاري رؤيته سعيدًا يا عتيقة، بعيدًا عن أي شيء آخر.

لم تقتنع عتيقة بما يقوله زوجها لذا قالت بعصبية: إلا تلك الفتاة، فهي...

قاطع كلامها طرقٌ قويٌّ على باب المنزل، ونداء طفولي باسمها بشكل متتابع، فجرى كل منهما نحو الخارج، فتحا الباب، فوجدا فتى في العاشرة من عمره تقريبا، يلهث بسرعة، كأنه كان في سباق للعدو الريفي.

استفسرت عتيقة متمتمة بهلع، وحدسها الأموي يخبرها أن الأمر متعلق بابنها البكر والوحيد: ماذا هناك؟

حاول الطفل التقاط أنفاسه ليقول مفجرا القُنبلة: لقد رأيت مصطفى...

شهقت عتيقة مقاطعة الطفل فور سماع اسم ابنها، الشيء الذي أثار خوفه فأطبق شفتيه.

سحب سي علي زوجته عتيقة جانبا، ثم حث الطفل على الإكمال متحدثًا بلطف: أكمل، ولا تخف.

فأكمل الطفل قائلًا بتردد: رأيت مصطفى... يرمي... يرمي بنفسه في بئر سي حْمْدْ.

شعرت عتيقة كأنما أُفرغ على رأسها دلوٌ من الماء المثلج، شُلت أطرافها تماما إثر الخبر، رِجلاها أصبحتا كالهلام، لم تعد تسعفانها على الوقوف لتتهاوى نحو الأرض، بيد أن سي علي أمسكها في آخر لحظة، وتراجع بها إلى عتبة الباب ثم أجلسها، وتمتم مُحاولًا بث بعض الطمأنينة في نفسها: استعذ بالله يا امرأة، مصطفى لا يفعلها.

استرجعت عتيقة الحديث الذي دار قبل ساعات بينها وبين ابنها، لترن أبواق غريزتها الأموية، وتهب واقفة من مكانها هارعة نحو المكان المقصود بطاقة خيالية كأنها ليست المرأة التي تهاوت قبل قليل، دون الاكتراث لشيء.

حـدّق سـي علـي في ظهرهـا المبتعـد مبهـوتاً، لكـن سـرعان مـا تدارك نفسه ولحق بها مهرولاً.

** **

وصل كل من الزوجين إلى البئر المنشودة، فهو يبعد بحوالي نصف ساعة من المنزل.

لبئر سي حمد هندسته الخاصة، فهو ليس كالآبار التقليدية التي تقتصر على حفرة دائرية في الأرض ذات قطر معين، وعمق لا يقل عن أربعة أمتار بفعل يدوي بواسطة الفأس، بل هو من الآبار الحديثة، التي تُحفر بواسطة الآلات، أي أن عمقه يتجاوز العشرة أمتار، وقطره يتسع لشخص على الأقل، قس على ذلك أن قاعه لا يرى بالعين المُجردة، لاسيما أن الظلام قد حل الآن. تربصت عتيقة بالبئر كحيوان مفترس جادت عليه الأيام بصيد ثمين، لكنها عاجزة عن فعل شيء. في حين أشرف سي علي على البئر من علو، صَوَّب كشاف هاتفه نحو أعماق البئر مُحاولًا رؤية معالمه، غير أنَّ محاولته باءت بفشل ذريع، فالضوء لا ينفع بشيء.

صرخت عتيقة باكية: افعل شيئًا يا علي.

فإذا بصوت رجولي خشن جاء من خلفهما متمتما بنبرة باردة بعد أن خرج عليهم من مخبئه: هذه المرة لم أفعلها، مرة أخرى سأُفكر في الأمر بجدية أكبر، ولن أستغني عن قطعة نقدية من فئة عشرين درهمًا لطفل صغير كي يفتعل تلك المسرحية.

التفتت عتيقة إلى مصدر الصوت، فلم تشعر بنفسها إلا وهي تسرع الخُطى نحوه لتهوي على خده الأيسر بصفعة قوية لدرجة أنها أمالت رأسه نحو الجهة الأخرى، ثم أعادت صفعه مرة أخرى، لتتوالى الضربات نحو صدره بوتيرة أقل وطأة من سابقاتها، فقد خارت قواها نتيجة ساعات الضغط، والقلق الذي عايشته منذ قليل.

تدخل سي علي مبعدًا إياها عن ابنه الذي طأطأ رأسه ممسكًا خده براحة يده، وقال بنبرة جافة: خاب ظني فيك يا مصطفى. رفع رأسه إلى أن التقت عيناه الفيروزيتان المُصرَّتان بعيني أبيه العسلية التي تتطاير شرارات الغضب منهما، ليقول بعزم غير مبال لشيء، لا يرى أمامه سوى صورة سالبة عقله، وسارقة فُؤاده: إن لم نذهب غدًا صباحًا لخطبة راضية، فاعتبروني ميتًا ابتداءً من الآن. بُهتَ كلٌّ من سي عليَ، وعتيقة بما تفوه به ابنهما للتو، فهو لم يهتم أوَ يبالي بحالة أمه، كل ما يشغل تفكيره هو تلك الفتاة.

سحب سي علي زوجته –التي هدّت الساعات السابقة حيلها، فلم تستطع أن تنبس بحرف– عائدًا بها إلى المنزل، ليقول موليًا ظهره لذاك الذي ظن أنه بلغ مُبتغاه إثر تلك الفعلة، بتحد جلي: في بادئ الأمر كنت عكس قرار عتيقة حول مصيرَكَ مع تلكً الفتاة، لكن بعد هذه الليلة العصيبة التي جعلتنا نعيشها، لن أُزوجها

لك، ولو على جثتي. بعدها أكمل طريقه وزوجته، تاركين العاشق وراءهم واقفًا يموت غيظًا.

لم يرض مصطفى بالعودة إلى المنزل بعدما كان من والديه، لذا قضى ليلته في بيت إحدى عماته، وهو يفكر فيما يتوجب عليه فعله، فالورقة التي ظنها رابحة، كانت سببا في تمنع أبيه هو الآخر، لذا عقد العزم على لَوي ذراعيهما هذه المرة، وليس فقط استغلال كونه الابن الوحيد، والمدلل لتخويفهم.

أشرقت الشمس معلنة بداية يوم جديد، أو لنقل بداية يوم سيتغير فيه كل شيء.. شكر مصطفى عمته على الضيافة، ممتنا لها عدم سؤالها عن شيء رغم زيارته المفاجئة لها البارحة في منتصف الليل، ثم توجه نحو منزل أبيه ليأخذ شيئا مهما هناك في غرفته. وصل إلى البيت، أدار المفتاح ببطء، استنتج من هدوء البيت أن والديه يغطّان في نوم عميق، خطا على رؤوس أصابعه نحو غرفتهما، دلف إليها مُغلقًا الباب بحرص، فتح دُرج الخزانة الخشبية بنية الطلاء، أخذ كنزه، وولّى مدبرا كيفما دخل.

** **

ما الذي تفعله هنا؟

كانت هذه جملة راضية المصدومة برؤية مصطفى بعد أن فَتحت الباب. حاول أن يقول شيئًا، لكنها قاطعته بهمس قبل أن تُغلق الباب في وجهه: أرجوك، عَد من حيث أتيت، لا تنقصنا المشاكل.

عادت بوجه شاحب للداخل، سألها عمها عن هوية الطارق فأجابته بارتباك: لم يكن أحد، أظن أنهم أطفال، أنت تعرف يدقون أبواب الناس، ثم يهر...

قاطع حديثها دق على الباب مجددًا، فتقدم عمها ليفتح الباب هو هذه المرة مستنكرا بغضب: سأُلقن هؤلاء الأطفال درسا.

سحبت الدماء من وجه راضية خوفًا وترقبا من هذه الزيارة المفاجئة لمعشوقها الذي ما إن فتح مُحسن الباب حتى قال له بلا مقدمات ناظرا إليها بنظرات مولوعة، لم تخفَ على عيني هذا الواقف بينهما أبدًا: أنا وأنتَ يجب أن نتحدث.

أجابه مُحسن متنحيا له جانبا ليدخل برسمية: تفضل يا بني، أول غرفة على الجانب الأيسر.

تقدم مصطفى نحو الغرفة التي أشار إليها محسن ليدلف إليها أمام نظرات تلك التي يخفق قلبها الآن بوتيرة سريعة، فحدسها، ومعرفتها الجلية بالجالس مع عمها في الغرفة حاليا، يُحدثانها أنه لا ينوي على خير، وما أكد لها صدق حدسها صوتَ عمها الذي صاح مناديا: راضية، تعالي يا ابنتي.

دخلت راضية إلى الغُرفة مطأطأة الرأس، جلست بجانب عمها وهي تفرك أصابعها بتوتر ملحوظ، ليشير هذا الأخير براحة يده نحو مصطفى متمتماً: هذا الشاب يريدكِ زوجة له، ما رأيك؟

لو كانت تعرف بموافقة أهله على هذه الزيجة، لكانت أسعد امرأة على هذا الكوكب، لزغرد قلبها فرحا بهذه الزيارة، ولفرت هاربة من أمامهما خجلًا كعلامة غير منطوقة على القبول، لكن بمعرفتها لظروف هذه الزيجة، ليست لها رفاهية عيش هذه اللحظات بهناء، وليس من حقها الدلال.

رفعت نظرها ببطء من على الأرض نحو الجالس بهدوء يحسد عليه، يترقب جوابها الذي يعرفه مسبقًا لكن سكوتها هذا يقلقه، لتقول متذكرة وعده لها: قبلت.

هللت أسارير مصطفى فرحا، وأثلجت كلمتها المكونة من أربعة أحرف فقط، المضغة الموجودة أيسر صدره، فخف قلقه، ليقول بحماس موجها حديثه إلى عمها وهو يُخرج محفظته من جيبه: بما أنها قبلت، وبطاقتي الوطنية هاهنا، هلّا نُتمَّ عقد القران اليوم؟

نقل محسن نظره بينهما، يتفحصهما بعينيه الخبيرتين اللتين استنبطتا أن هذين الجالسين بجانبيه، ما هما إلا عاشقان وقفت الحياة، والظروف عقبة أمام وصالهما، فبادر ناصحا مبرئا ذمته: اسمعا، الزواج ليس بلعبة أبدًا، أنتما في ريعان شبابكما، فكرا جيدًا، ولاسيما أنت يا راضية، فمصطفى لم يُخف عني عدم موافقة أهله، اجلسي معَ نفسك، واسأليها، أستستطيعين العيش مع حماة لا تريدك؟ أبمقدورك التحمل؟ أستتحملين مسؤولية قرارك إلى آخر لحظة، ولن تستسلمي أو تضعفي؟

وأنت أيضًا يا مصطفى، اسأل نفسك، أستكون حاميا لها مهما حدث؟ أستقف بجانبها؟ ألن تتخلى عنها في منتصف المعركة؟ أستكمل تشبثك بها أم سترميها في أولى الفرص؟

أرجع ظهره إلى الخلف، واسترسل بوعظ: العيش تحت سقف واحد، يختلف كل الاختلاف عن كون كل واحد منكما في بيت. مؤسسة الزواج لا تستقيم على رِجلٍ واهية كالحب، بل تحتاج إلى

عمودين راسخين كالمودة، والرحمة. سكت قليلًا يرى وقع كلامه عليهما ثم أردف: الحب مجرد مصعد يوصل الحبيبين إلى الزواج، بعدئذ يتركهما ليكملا الطريق بالمودة والرحمة.

تمعن كل منهما في كلام مُحسن بعمق لدقائق، ثم قالا بثقة دفعة واحدة، وفي نفس اللحظة: سنكمل ما بدأناه.

** **

وما لي الآن، بعد أن تمت جميع الإجراءات، إلا أن أدعو لكما بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير".

تردد صدى كلمة العدول في عقل مصطفى، ليبث في قلبه دفئًا، وشعورا بالانتماء، فأخيرا أصبحت زوجة له، أخيرا باستطاعته العيش معها تحت سقف واحد، وأخيرا تسنى له الظفر بمن هواها قلبه، ولم يختر سواها، لذا جذبها من مرفقها معتصرا إياها في حنايا حضنه للحظات طالت لدقائق، ثم طبع قبلة على جبينها، بمثابة صك ملكية أبدية معيدًا إياها لحصار صدره، لاسيما أنها بالطول الذي يجعل أذنها مقابلة لدقات قلبَه الهادرة.

تمنعت راضية في بادئ الأمر خجلًا، واستحياء من الوحيدين اللذين كانا حاضرين في عقد قرانهما، عمها محسن، والعدول، بعد انصراف الشاهدين اللذين تكفل بإحضارهما كل من عمها، ومصطفى. لكن سرعان ما استسلمت لمشاعرها الجياشة. فقد عافرا جدًا ليتسنى لهما عيش هذه اللحظة.

ابتعدت عن حضنه –كارهة– إلى أن التقت أعينهما لتفتح شفتيها راغبة في التعبير عما تشعر به الآن من مشاعر متباينة، يغلب عليها الحب، والأمان، لكنها أطبقتهما بعجز.

دنا مصطفى من أذنها هامسا بنبرة أسرتْ القشعريرة في أوصالها: وأنا أيضًا أحبك، يا سالبة عقلي، وفؤادي.

تركها تستوعب ما قاله ثم أردف بنفس الهمس: حتى وإن لم تتكلم، عيناكِ الرماديتان تشعان حبًا، وهذا كل ما أنا بحاجة إليه.

– تفعلها دون علمي؟

تقولها عتيقة بألم بعدما دخلت لتوها إلى مكتب العدول المتواجد في مدينة وزان الذي توجهوا إليه هذا الصباح ليتم عقد القران، مع زوجها سي علي فاضَّين بدخولهما حضنَ الاثنين.

أرجع مصطفى زوجته وراء ظهره ثم بادر موجهًا حديثه إلى أمه بتحد: لو وافقت من الأساس، لما اضطررت لفعلها دون علمك.

أطلت راضية برأسها من وراء ظهره، فاندفعت عتيقة نحوها رغبة في أذيتها غير أن مصطفى وقف أمامها بالمرصاد: حسبك، هي زوجتي الآن على سنة الله ورسوله، وما يسوؤها يسوؤني.

انتبهت عتيقة إلى محسن الجالس على الكرسي المقابل لمكتب العدول يتأمل المشهد بصمت لتقول مستفهمة: أنت راضٍ عن هذه المهزلة التي تحدث هاهنا، آه، نسيت، يبدو أنك من ساعدتهما.

حاول محسن الرد، لكن سي علي تدخل مخاطبا الأربعة بحكمة: لنعد إلى الدُوار، ونكمل حديثنا هناك، فلا الزمان ولا المكان مناسبان.

بعدها التفت ليقول موجهًا كلامه إلى العدول: نعتذر منك عن هذا الإزعاج.

** **

عـاد الخمسـة إلى الـدوار، بعـدها اتجهـوا نحـو منـزل سـي علـي بعدما اختاروه مستقرا لتسوية الأمر. دخل الجميع إلى البهو الكبير، مستطيل الشكل الذي يحتوي على أريكتين طويلتين متناظرتين تتسع لثلاثة أشخاص، وأريكة أفقية لهما.

جلست راضية على الأريكة اليمنى بمحاذاة زوجها من جهة، وعمها من الجهة الأخرى، بينما جلست عتيقة في الأريكة المقابلة، أما عن سي علي فقد اتخذ الأريكة الأفقية.

بدأت عتيقة الحديث بأمر موجهةً حديثها إلى ابنها: ستَطلقها، شـئت أم أبيـت. ثم أشـارت نحـو راضـية باحتقـار: هـذه لـن تكـون عروسا لابني.

لم يرق لراضية كلام حماتها، فحدثت نفسها قائلة: لمَ تستحقرني إلى هذا الحد؟ ما ذنبي إن كنت أنحدر من عائلة فقيرة؟ ما ذنبي إن مات والداي تباعاً؟ ما ذنب قلبي الذي أحب ابنها دونا عن غيره؟

شعر مصطفى بما يدور في خلد زوجته، فأمسك بكفها ضاغطًا عليه برفق، ليقول بحمائية كأنه قرأ أفكارها، لكن عمها سبقه قائلًا: سيدة عتيقة، ابنة أخي، بل ابنتي ليست لعبة يأخذها ابنك متى ما أراد، ثم يرميها متى ما يمل.

تدخل مصطفى بعناد: لن أطلقها، وهذا آخر ما عندي.

تشدقت عتيقة باستخفاف: هي طامعة فيك لا أكثر.

خرج سي علي عن صمته أخيرا ليقول محدثًا ابنه بهدوء: اخرج أنت وزوجتك من هنا إلى حين مناداتي عليك.

امتثل مصطفى لأمر أبيه، فقد أحس بأن هذا النقاش الذي يحدث الآن لا ينبغي أن يحضراه.

– لنعقد اتفاقًا يا محسن.

قالها سي علي بدبلوماسية بعد أن خرج ابنه، فرد عليه مُحسن مستفهما: كلي آذان مصغية.

أخرج سي علي من جيب جلبابه خمسة ملايين درهمٍ نقدًا، ثم قال مفاوضا: هذه مقابل موافقة ابنة أخيك على الطلاق.

ابتسم مُحسن ثم قال ساخرا: يبدو أنكما كذبتما الكذبة، ثم صدقتماها، تظنوننا طامعين في نسبكم أو ما شابه؟ بئس الظن، أنا قبلت بهذه الزيجة لأني استأمنت راضية مع ابنكم، فحبهما لبعضهما البعض جلي كالشمس. سكت قليلًا ثم استرسل: نحن قد نكون فقراء نعم، لكننا لا نبيع مبادئنا.

نظر إلى المال أمامه ثم أكمل قبل أن يخرج من البهو: الحب لا يباع، ولا يشترى يا سيد علي.

ناداه سي علي قائلًا بدبلوماسية: محسن، بما أن الأمر كما تقول، فبرهن لي ذلك.

توقف محسن مُشدّدًا قبضةَ يده اليمنى بعجز، ثم أرخاها متمتمًا ببرود: لك ما تُريد.

** **

ما إن خرج محسن من البهو حتى تأهبت حواس كل من راضية ومصطفى نحوه، نقل نظره بينهما ثم بادر بغضب غريب عن طبعه الحنون موجها حديثه لابنة أخيه: لن تدخلي عروسا لهذا البيت ما دمت حيًّا أرزق.

صعقت راضية بما سمعته، فالتفتت بتلقائية نحو مصطفى ناظرة إليه بعجز.

آه لو أمكنها التمرد الآن، آه لو أمكنها عصيان أمر عمها فهي زوجة لمصطفى على كل حال، ولن يقف أمامها شرع ولا قانون. لكنها لا تستطيع فهو يظل الشخص الوحيد الذي قبل برعايتها بعدما نأى أعمامها الآخرون عن ذلك، الشخص الوحيد الذي أحسن إليها طول عمرها، واعتبرها ابنته التي لم يرزق بها، والشخص الوحيد الذي لم يشعرها يوما بأنها يتيمة، فكيف لها أن تعض اليد التي رعتها؟ غضت بصرها وعيناها تنذر بعاصفة قريبة، فتمتمت قبل أن تنسحب وراء عمها الذي ما إن قال جملته حتى خرج من البيت بعصبية مشيرا لها بأن تتبعه: يبدو أن هذا الحب مقدر له أن يوأد في مهده.

أمسكها مصطفى من مرفقها ثم قال برجاء: لا تذهبي.

أمطرت عبراتها أخيرا، مخففة عنها ثقل ما تشعر به، فأغمضت عينيها وتمتمت دون الالتفات نحوه: حتى إن أردتَ البقاء، هم لا يريدون وِصالنا.

قالت جملتها ثم أزاحت يده من على مرفقها وأكملت طريقها.

حدق مصطفى في ظهرها المنصرف وهو عاجز عن فعل شيء، فقد هَدَّ حيلُه في سبيل أن تطفو حياتهما على نهر هادئ، لكنهم يقفون حائلًا بينه وبين بغيته، لذا أرخى يده –هذه المرة– عن القيادة، تاركًا للحياة كل الحق في فعل ما تشاء.

– لقد رتبت كل الأمور، جلسة الطلاق ستكون الاثنين المقبل.

قالها سي علي موجها حديثه إلى ابنه، بعدما خرج من البهو هو الآخر، فابتسم مصطفى بمرارة محدثًا نفسه: هل انتهى كل شيء حقًا! هل تلك اللحظات السعيدة التي قضيتها قبل قليل كانت سرابا، والآن ذرته الرياح! أحساباتي لم تكن مضبوطة بشأن خطوة الزواج! أباستطاعتي التخلي عنها هكذا ببساطة! أين وعدي لها من كل هذا! أين تشدقي بتشبثي بها إلى آخر رمق! أوبعد كل تلك المعافرة وصلنا إلى طريق مسدود!

نظر إلى أبيه نظرة استسلام ثم تمتم بانهزام: حسنا، ليتم هذا الطلاق، وننتهي من كل هذا العذاب.

** **

بعد وصول اليوم الموعود، استقل كل من سي علي وابنه، وكذا محسن وابنة أخيه سيارة أجرة لتقلهم إلى المحكمة الابتدائية بوزان، فالدوار الذي يقطنون به يبعد عن المدينة بحوالي 22 كلم. بعد ساعة تقريبا كان الجميع أمام قاعة المحكمة لحضور جلسة محاولة الصلح.

نادى الحارس قائلًا: مصطفى زيزان وراضية لفقير دوركما الآن.

فدخل كل منهما إلى القاعة.

سأل القاضي مصطفى بمهنية: إذن ما هو قرارك؟ أتريد الطلاق؟

نظر إليه مصطفى ثم تمتم بثقة: لا.

علت الدهشة وجه القاضي، فسأل هذه المرة موجها حديثه إلى راضية: وماذا عنك أتريدين الطلاق؟

التفتت نحو مصطفى تتأمله بلوعة، ثم نقلت نظرها لعمها لتتمتم بثقة هي الأخرى: لا.

رفع مصطفى حاجبيه مصعوقًا بردها، وحدّث نفسه بتفكير: ما حدث الأسبوع الماضي كان يُحتم على هذا الزواج بالانتهاء، ويسد

أي طريق يمكّن الأمل من العبور، يا تُرى كيف انقلبت الموازين، واتخذت هذا النحو؟

نظر إلى راضية يحاول سبر أغوارها عساه يشبع فضوله الظمآن حتى الموت، لكنها تعمدت ادعاء الجمود، والبرود فهي تحفظه كخطوط يدها، وتعرف أن غربان فضوله تنهش رأسه الآن دون رحمة.

تعجب القاضي من ردهما الصريح، والقاطع، فرد مستغربا: بما أنكما لا تريدان الطلاق، فما الذي أتى بكما إلى هنا؟

رد مصطفى بهدوء: أبي هو الذي يريد هذا الطلاق.

تعجب القاضي فسأله: وما دخل أبيك بالموضوع؟ أنت زَوجها وليس هو.

سكت قليلًا متأملًا الوضع ثم نادى الحارس قائلًا بأمر: استدعِ علي زيزان.

دخل سي علي إلى القاعة، فسأله القاضي: لم لا تريد السيدة راضية زوجةً لابنك؟

اعتقد سي علي أنهم ينادون عليه لإنهاء إجراءات الطلاق، لكن سؤال القاضي جعله يستنتج أن ابنه وزوجته نكثا الاتفاق، فلم يجد حلًا لرفع الحرج عنه سوى استغلال عدم وجود عتيقة فتمتم بحرج: أمه هي التي تريد هذا الطلاق، أما أنا فلا مشكلة لدي.

أرجع القاضي ظهره إلى الوراء ثم قال بسخرية: عودوا أدراجكم من حيث جئتم، لقد أضعتم وقتي لا غير.

** **

بعد خروجهم من القاعة أمسك مصطفى كف راضية، ضغط عليه برفق ثم ملأ فراغات أصابعها بأصابعه متشبثا بها أكثر، كأن تلك الفراغات التي بأيدينا خصصت لتملأها أصابع من يحبوننا، ونحبهم فقط. نظر إلى عينيها الرماديتين متمتما بابتسامة رائقة: شكرا.

سرى في أوصالها نفس الدفء الذي شعرت به في أول مرة أمسك فيها يدها، بيد أن هذه المرة لم تخف على مآل سرمدية هذا الشعور، لم تكترث لمرأى العيون التي ترى عناق أصابعها الحار، ولم تخجل من هذا القرب المهلك الذي يدير مصطفى دفته كيفما يشاء. لكنها تريد هدنة، يكفي ما لاقته لترسو سفينة حبهما بهدوء فوق أمواج الحياة الغادرة.

أمالت رأسها قليلًا نحو اليمين بتعجب سائلة: شكرا على ماذا؟

نظر إليها لدقائق طالت يتشرب من ملامحها –التي لطالما فتنته– قطرة قطرة، بدءا بأعينها الرمادية، فأنفها المنمنم، فخداها الورديان دون الحاجة لمساحيق التجميل، فشفتيها المكتنزتين. عندما وصل إلى هذا الحد، أغمض عينيه وأكمل كاسرا صمته الذي قد طال بصدق: على ثقتك بي، وبوعدي، على قبولك الزواج بي رغم

رفض والدي القاطع، على حبك الذي يسطع كالشمس بعد ليلة ماطرة، وعلى كلمة "لا" التي قُلتها قبل قليل لتكون متنفسي بعد طول اختناق.

وجدت بعض الجرأة الغريبة عن طبعها الخجول لتنهي عناق أصابعهما وتضع كفها على أيسر صدره حيث توجد تلك المضغة التي ازدادت وتيرة نبضها سرعةً وسماعًا إثر لمستها، بعدها همست مبتسمة الثغر: لا أستطيع خذلان هذا القلب الذي أحبني بلا شرط، قاتل من أجلي دون مصلحة، وتمسك بي بكل ما يملك إلى آخر رمق.

حاول مصطفى تمالك نفسه قدر المستطاع، فلمستها قد أضرمت حربا حامية الوطيس بسائر جسده، وهو في غنى عنها بل لا يقوى على مجاراتها على الأقل الآن فالزمكان غير مناسبين. فاكتفى فقط بقبلة طويلة وعميقة على جبينها مودعًا فيها جل مشاعره، وأبعدها عنه كارهًا، ممسكًا إياها من كتفيها وسأل بفضول: ألم يكن عمك رافضًا لهذا الزواج أيضًا؟ هل أقنعته؟ تمردت على قراره؟

ضحكت ضحكتها المهلكة التي كانت على وشك تدمير آخر ذرة من صموده لذا اقترب من أذنها هامسا: اعقلي رجاء، فالحديث معك دون تقبيلك جهاد.

تخضبت وجنتاها استحياء فابتعدت عن دائرة سطوته، وراحت تحكي له ما حصل بعدما غادرت منزل أبيه مع عمها.

لحقت راضية بعمها راكضة، وما إن أصبحت بموازاة معه حتى بلعت ريقها وسألت: عمي، أيمكننا الحديث قليلاً؟

رد عليها محسن بهدوء عكس فورة الغضب التي تعتريه: ليس الآن، انتظري حتى نصل إلى المنزل.

احترمت راضية كلامه، ولم تنبس ببنت شفة إلى أن وصلا إلى البيت.

فور دخولهما أعادت سؤالها: أيمكننا الحديث الآن؟

وقف محسن يتأملها من أخمص قدميها إلى قمة رأسها، هذه ليست تلك الصغيرة التي اقترح التكفل برعايتها منذ اثنتي عشرة سنة معاهداً نفسه أن يعاملها كابنته تماما عساه يملأ ولو قليلا ذاك الفراغ الذي يعتري روحه، فقد حرمته الحياة من شعور الأبوة، هذه

ليست تلك المراهقة المتمردة التي لا يهمها شيء، تعشق المغامرة مهما كانت خطرة، وتعيش في خضمها بكل ثقة ويقين، بل إيمان أنه لن يحاسبها أحد، خاصةً أنها تستطيع التمييز بين الجرأة، والتمادي. حقًا، لقد كبرت بسرعة، وأصبحت الآن على أعتاب الشباب، بل وتريد الزواج أيضًا.

لاحظت راضية شرود عمها فسألته باهتمام: ما بك يا عمي؟

أجابها بقسوة: لا شيء، لو كنت تريدين الحديث عن ذاك الشاب، فاعتبري أن الأمر قد انتهى، سيتم الطلاق الأسبوع المقبل، ولا أريد نقاشًا أو جدالًا.

حدثت راضية نفسها باستغراب: أهذا عمي الحنون! عمي المتفهم! عمي المُراعي! لا، هذا رجل جرحت كرامته لا ريب.

تجاهلت قسوته فهي تعرف أنها مُجرد ثوب مهترئ لا يعرف ارتداءه، وتمتمت بصدق: عمي، أنت تعرف أنك تحتل مكانة بقلبي لم تطأها قدما بشر من قبل، ولا حتى مصطفى، لا أزال أذكر تلك اللحظة التي شعرت فيها بالضياع عندما أخبرتني أن والدي وافتهما المنية، لا أزال أذكر تلك الليلة التي عقد فيها أعمامي، وعماتي جلسة في بيت عمي الأكبر العيّاشي للتشاور على من سيرعاني،

فقد كنت مختبئة تحت الطاولة أسترق السمع. لا أزال أذكر كل حرف قيل آنذاك فأوجع قلبي الصغير، كما أذكر مبادرتك أنت للتكفل بي دون شفقة منك أو حتى مجاملة، بل حبا، وأملًا شعَّ من عينيك ليلتها دونما هوادة فأسعدني تمسكك بي، وما أسعدني أكثر أنك كنت لي الأب الذي غمرني بحنانه، الأخ الذي أشد عضدي به، والصديق الذي أثرثر معه دون ملل. حتى خالتي حنان لم تتذمر أو تشتكي من وجودي معكما يوما، بل غدقت علي بعاطفتها الأمومية بكل سخاء، فهي تحبك، ولم ترض بالانفصال عنك رغم علمها بعدم قدرتك على الإنجاب، فهي تؤمن بأن نعمة الذرية تُمنح للزوجين معا، كما تمنع عنهما معا.

سكتت قليلًا ثم استرسلت ممازحة: بالله عليك أين ستجد رجلًا مثلك، أنت نادر يا عمي، ومن الصعب أن نجد لك شبيها أو مثيلًا.

ثم عادت لنبرتها الجدية: صدقني أنا لم أنس فضلكما علي أبدًا، ولا أستطيع.

سكتت تلتقط أنفاسها ثم أردفت وقد ترقرقت العبرات بمقليتها: لكني أحب مصطفى، ولا سلطان لي على قلبي، أرجوك يا

عمي كن إلى جانبنا كما عهدناك دوما، فقد قطعنا نصف الشوط، ولم يتبقَّ الكثير، يكفينا ما لاقيناه.

وقف محسن مشدوهًا للحظات، ثم جمع رباطة جأشه وتمتم بكبرياء: لقد عرض علي سي علي خمسة ملايين درهم مقابل طلاقكما، وبالطبع رفضت، فالمشاعر لا تُشرى، ولا تشترى، فكيف أأمن عليك مع أسرة كتلك؟

أجابته بتفهم: لا تقلق علي، مصطفى هناك، لن يصيبني أي مكروه.

لم يقتنع محسن بكلامها لكن إصرارها، وتشبثها بهذه الزيجة جعلاه يرضخ ويبادر: حسنًا، أوافق، لكن بشرط.

ردت عليه بفرحة: طلباتك أوامر، لا شيء يغلو على الغالي.

ابتسم محسن وقال: أريد (الرْفيسَة) في وجبة العشاء.

هرولت راضية نحو المطبخ وهي تضحك متمتمة: سمعًا، وطاعة مولاي.

– هكذا إذن أكلة "الرفيسة" كانت الرشوة التي أخذها عمي محسن ليوافق.

قالها مصطفى ضاحكًا، فردت عليه: عسى أن تأكلها من أصابع يدي أنت الآخر، فما حدث اليوم لا أظنه سيمر مرور الكرام.

** **

عاد الأربعة إلى الدوار مجددًا بصمت رهيب، فاتخذ كل واحد منهم طريقًا إلى بيته.

كانت عتيقة تجلس على عتبة الباب تنتظر عودة زوجها، وابنها على أحر من الجمر، فلمحتهما آتيين من بعيد، انتظرت بصبر اقترابهم أكثر، وعندما أصبحا بمحاذاتها سألت بتفاؤل: هل انتهى كل شيء أخيرا؟

حرك سي علي رأسه يمينًا، ويسارا كعلامة غير منطوقة على خيبة أملها، بينما نظر إليها مصطفى وبادر بأمر: راضية زوجتي الآن، سنذهب حالًا لنأتي بها كي تعيش معنا.

ردت عليه بحسم: لا.

بينما ظل سي علي على صمته يراقب من بعيد، نظر إليهما مصطفى مطولًا، ثم أولاهما ظهره مغادرا، فنادت عليه أمه سائلة: إلى أين تخال نفسك ذاهبا؟

رد عليها ببساطة: إلى بيت عمي محسن، سأعيش معهم هناك، طالما أنتم لا تريدونها أن تعيش معنا.

صاحت عتيقة بدهشة: أأنت مجنون؟

رد ببرود مكملًا سيره: نعم.

اعترضت عتيقة طريقه ثم تمتمت بإصرار: قلت لك إنك لن تذهب.

أزاحها مصطفى من أمامه ببعض العنف، وأكمل طريقه إلى بغيته.

وقفت عتيقة مدهوشة تنظر إلى ظهره المنصرف، أفلذة كبدها الوحيد أزاحها عن طريقه ذاهبا لأخرى للتو! أفلذة كبدها الوحيد الذي رعته إلى أن أصبح شابا قوي البنية فعلها بلا مراعاة لأي شيء! أفلذة كبدها الوحيد، عصى أمرها ولأجل من؟ لأجل فتاة لا تليق لا به، ولا بنسب العائلة!

التفتت نحو سي علي واسترسلت بتعجب: لن تفعل شيئًا لتوقف جماح جنون ابنك!

رد عليها بهدوء: لنذهب ونُحاول إقناعه بالعدول عن بقائه هناك.

ارتفع أذان المغرب مع وصول كل من سي علي وزوجته إلى بيت محسن، طرقا الباب، فتحه لهم مُحسن وتنحى جانبا سامحًا لهم بالدخول دون قول شيء.

جلس الجميع في غرفة صغيرة للضيوف ما عدا راضية، وزوجة عمها التي ذهبت إلى والدتها في الدوار المجاور لترعاها إثر وعكة صحية ألمّت بها. كسرت عتيقة الصمت الذي لفَّ أربعتهم موجهة حديثها إلى مصطفى: هيا لنعد يا بني، ولك ما أردت.

رفض مصطفى العودة قائلًا بحسم: لا.

تأملت عتيقة الوضع ثم بادرت بذكاء: هل ترضى أن تعيش مع راضية هنا دون عرس ضخم وكبير، يجعل جل أهل الدوار يتحدثون عنه؟

فكر مصطفى في ما قالت قليلًا، ثم استطرد: لا، لن تنطلي علي حيلتك الساذجة هذه، لا يهمني العرس الذي تتحدثين عنه، أريدك أن تتقبليها زوجة لي، ونأخذها الليلة إلى بيتنا.

استسلمت عتيقة أخيرا لأمر الواقع، وأيقنت أن ابنها لن يعدل أبدًا عن قراره مهما حاولت معه، لذا قررت اختيار سعادته كما

سبق واقترح عليها سي علي، فتحدثت بسماحة موجهةً حديثها إلى راضية: وضّبي أغراضك يا ابنتي، أقبل بك زوجة لهذا الشقي.

بعدها نظرت لمحسن وقالت له بما يشبه الطلب: آمل أن لا يكون لديك مانع في إقامة العرس على نفقتنا الخاصة، وبمنزلنا نحن.

رد محسن بطيبة: لا بأس، الأهم سعادة ابنة أخي.

أقامت عتيقة عرساً كبيراً، لابنها وزوجته تكلله حضور المغني الجبلي "لحسن العروسي"، وفرقته الموسيقية المتميزة، وكذا فرقة "الشرقاوي" للغيطة الجبلية، ومرت أجواء العرس في جو بهيج من الفرحة الصادقة بعيداً عن أي ضغينة أو شر.

وعاش كل من مصطفى وراضية حياتهما الزوجية ببيت سي علي، نظرا لأنه الابن البكر الوحيد لوالديه، فلم يستطعا فراقه، وبعد عام تقريبا رزِقا بمولود أسموه "غيث" ليكون بذلك أول ثمرة لحبهما السرمدي.

** **

انضم إلى مجموعة دار بسمة على واتساب، من هنا

تصفح إصدارات أخرى عبر مكتبة دار بسمة، من هنا

دار بسمة للنشر الإلكتروني

دار مغربية، رقمية، تأسست في 2017

دار بسمة للنشر الإلكتروني من أهدافها مساعدة الشباب المغاربة والعرب على نشر إبداعاتهم، وإيصال أصواتهم وتغريداتهم إلى العالم كله، كما تطمح لاكتساح عالم النشر الإلكتروني في كل الأقطار العربية..

كما أننا –في محاولة منّا لتغذية شريان الثقافة– نسترشد بالضمير الحي من أجل نشر المحتوى الثمين، حاملين على كواهلنا رسالة التنوير الحقيقي، ومدركين كل الإدراك لقيمة القلم النبيلة، لذلك كنا حريصين على نشر كل ما هو قيم. في دار بسمة للنشر الإلكتروني نساند المؤلفين وندعمهم لإيصال إبداعاتهم لملايين من القراء، ونرشدهم إلى آليات فنية تعينهم على تحسين أساليب الكتابة والإبداع. وتقريبا لهذه الغاية تقوم الدار بتنظيم مسابقات متعدّدة، والإشراف عليها مجانا من أجل اكتشاف المواهب الشابة التي تستحق أن تُنشرَ أعمالُها بينَ القرأَة والمثقفين، وذلك تشجيعا لهم على الاستمرارية في الكتابة الإبداع.َ

بين قلب اختار الحب، وواقع أصر على الرفض، تشابكت خيوط الحكاية لتنسج قدرا لم يكن في الحسبان.

خيوط قدر، قصة عن الحب حين يتحول إلى معركة، وعن العائلة حين تصبح خصما وحاميا في الوقت نفسه.

فاطمة اسنيدي كاتبة مغربية، من مواليد 7 مارس 2004 بنواحي مدينة وزان، ذات قلم عميق ومؤثر، تعبر في أعمالها عن القضايا الإنسانية والاجتماعية بأسلوب مشحون بالعاطفة والصدق.

من أعمالها كتاب "شفاء" عن دار بسمة للنشر الإلكتروني.

Bassmabook
00212771814934
darbassma1@gmail.com